DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

تفسير ضعف الإنتاج الفني لمرحلة إنسان النياندرتال (تقديم فرضيات تبريرية وفقاً لمعطيات الفن والانثروبولوجيا)

الدكتور بدر المعمري
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان
البريد الالكتروني: bmamari@squ.edu.om

الدكتور ياسر منجي
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

الملخص

بالرغم من عدم الاتفاق النهائي على عملية تصنيف الأعراق البشرية، إلا أن النموذج الإرشادي للعلم لا يزال راضخاً لفكرة الفصل بين مرحلة إنسان يبدو اقل تحضراً اسماه النياندرتال والذي سبق حضوره التاريخي حضور الإنسان العاقل. لذلك تنطلق هذه الدراسة من موضع يتمحور حول النموذج الإرشادي للعلم، وعليه فأن الاعتبار التصنيفي الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو وجود إنسان النياندرتال بذات التصور الانثروبولوجي والبيولوجي الذي أشار اليه العلم الحديث. إلا أن هذه الدراسة تركز على شأن استثنائي في حياة إنسان النياندرتال وهو ممارسته للفن وجاذبية الابداع البصري الملموس لدية. فقد كان هذا النوع من البشر من اقل الاجناس البشرية ممارسة للإبداع الفني، ولم تكن فرضيات ذلك الإخفاق ثابتة ونهائية في اغلب الدراسات والتصورات المنشورة. وربما كان غياب دراسي الفنون عن المشهد سبباً في تعدد الفرضيات وقلتها، فكان دارسو الانثروبولوجيا والبيولوجيا غالباً هم من حاول وضع فرضيات تبريرية لغياب الفن عن إنسان النياندرتال. وما جعل الأمر بحاجة إلى مراجعة جديدة هو ثبات ظهور مؤشرات الابداع الفني لدى الإنسان الي سبق النياندرتال وعليه أصبح هذا الجنس البشري موضعا يستحق التمحيص فيما يتعلق بإنتاج الفنون. تأتي هذه الدراسة لتستعرض فرضيات عدة لغياب الفن والابداع البصري الملموس من حياة إنسان النياندرتال لتصبح لاحقاً متاحة للبحث والتمحيص بشكل أكثر عمقاً.

الكلمات المفتاحية: النياندرتال، الفن، الانثروبولوجيا.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

Explanation of the Poor Artistic Production of the Neanderthal Stage
(Presentation of justifying hypotheses according to the data of art and anthropology)

Dr. Badar Al-Mamari
Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman
Email: bmamari@squ.edu.om

Dr. Yasser Mongy
Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman

ABSTRACT

Although there is no final agreement on the process of classifying human races, the guiding model of science is still satisfied with the idea of separating the stage of a seemingly less civilized human called Neanderthal, whose historical presence preceded the presence of Homo sapiens. Therefore, this study starts from a position cantered on the guiding model of Science, and therefore the taxonomic consideration on which this study is based is the existence of Neanderthals with the same anthropological and biological perception indicated by modern science.

However, this study focuses on an exceptional aspect of Neanderthal life: his practice of art and the appeal of his tangible visual creativity. This kind of people was one of the least human races practicing artistic creativity, and the hypotheses of this failure were not fixed and final in most published studies and perceptions. Perhaps the absence of art students from the scene was the reason for the multiplicity of hypotheses and the lack of them, as it was the students of Anthropology and biology who often tried to develop justifying hypotheses for the absence of art from Neanderthals. What made the matter need a new review was the constancy of the emergence of indicators of artistic creativity in pre-Neanderthal man, and therefore this human race has become a subject worthy of scrutiny in terms of art production. This study comes to review several hypotheses of the absence of art and tangible visual creativity from the life of Neanderthals to later become available for research and scrutiny in more depth.

Keywords: Neanderthals, art, anthropology.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

المقدمة:

في دراستهما الموسومة بعنوان (إعادة التعريف بإنسان النياندرتال والفن)، قدم أوسكار اباديا ومانويل مورالس (2010) دفاعاً عن حيازة هذا النوع البشري على أدوات الفن من خلال تركيزهما على اللقى في كهف (Grotte du Renne). وتعتبر تلك الشهادة العلمية المنشورة ضمن حيز أكاديمي رصين محاولة لإعادة النظر في موروث الابداع الملموس لهذا النوع البشري المنقرض. ولم يكن ذلك الكهف ولقاه فقط كحالة دراسية أمعن من خلالها الباحثون في تأكيد حيازة إنسان النياندرتال لأدوات الفن والابداع البصري الملموس، فقد قُدمت دراسات أيضا حول كهوف أخرى على رأسها (La Férrasie) و(Caune de Belvis) و(Saint-Césaire) وغيرها من كهوف أوروبا لذات المرحلة التاريخية (دي ايركو 2003، دي ايركو 1998، زيلهاو 2007).

لقد كانت معظم الدراسات صعودا من الثمانينيات وعلى رأسها الدراسة الشهيرة لفيليب تشاس وهارولد ديبل (1987) قد اشارت إلى غياب الابداع الفني والسلوك الرمزي لإنسان النياندرتال وجعلت كلًا من الفن والسلوك الرمزي حصراً للإنسان الحديث (أو ما يسمى في كثير من الدراسات أيضا بالإنسان العاقل). وعليه كان نموذج فيليب تشاس وهارولد ديبل قائمًا على التدقيق على اللقى المتمثلة في الأدوات ومتعلقات الإنسان الحديث خلال مرحلة العصر الحجري الأعلى كما اشارت دراستهما. وفي الحقيقة لم يكن نموذجهما ليصمد أكثر من عقد تقريباً، فجاء نموذج آخر يرى بان كلاهما إنسان النياندرتال والإنسان الحديث - وربما غيرهما - تشاركا صناعة الفن والأدوات والترميز، وعليه أصبح هذا النموذج المسمى (Multiple Species Model) أكثر حضوراً ضمن النموذج الإرشادي لعلم الانثروبولوجيا والأركيولوجيا والبيولوجيا. ولم يكن هذا الانتقال مؤشراً لصناعة الفن والابداع فقط، بل انه انتقال تاريخي وسم إنسان النياندرتال لأول مرة بالمعرفة وجعل قدراته المعرفية (Cognitive Abilities) معترفًا بها في أوساط علمية كانت تسمه غالباً بالهمجية والوحشية والبلاهة. فلم تكن رحلة النياندرتال في مسيرة العلم الحديث عادلة في مرحلة السبعينيات من القرن العشرين عندما رأى النموذج الإرشادي للعلم انه لا توجد أية صلة بين الإنسان الحديث (العاقل) وهذا النوع البشري (اباديا ومورليس، 2010). فجاءت الثمينيات لتحرز تقدماً فيما يتعلق بإنصاف هذا النوع البشري، عندما أصبحت هناك ادلة صريحة على معاصرة الإنسان الحديث لإنسان النياندرتال والتقاء هذين الجنسين البشريين في مناطق متفرقة من العالم خصوصاً في مناطق من افريقيا والشرق الأوسط وأوروبا (بيبو، 2016).

إلا أن ذلك الالتقاء في كثير من الأبحاث العلمية المحكمة لم يفرز صورة متكافئة بين الجنسين فذهبت معظم الأبحاث إلى فكرة اعتماد النياندرتال على سلب تقنيات الإنسان الحديث وإعادة انتاجها في المناطق التي استمرت سيطرة النياندرتال عليها في مناطق أوروبا المختلفة قبل فناء هذا الجنس

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

البشري. فجاءت دراسة بول ميلارس (2005) لتحدد تفاصيل انتقال التقنيات الفنية والتعبير الرمزي بين الجنسين لتعتبر تلك الدراسة استمراراً لتأكيد فكرة الاعتماد والاستنساخ من قبل النياندرتال لمنجزات الغزاة الجدد من نوع الإنسان العاقل. وفي مقابل تلك الرؤية توجد اليوم ضمن النموذج الإرشادي لعلم الآثار رؤية مغايرة تماماً تفترض بأن إنسان النياندرتال عبر عن الفن وإبداعه من خلال المتعلقات الشخصية الصغيرة كالحلي والتمائم وغيرها، وانه حتى وان غابت رسوم الكهوف مثلا من إنتاجه الفني، فان ذلك لا يعني غياب الفن والابداع بالبصري الملموس لهذا الجنس البشري الغامض (اباديا ومورواليس، 2010). إلا أن رؤية كل من اباديا ومورواليس التي قدماها في بحثهما عام 2010 لا يمكن ان تصبح نموذجاً نهائياً، فغياب فن الكهوف والرسوم الاستثنائية التعبيرية التي ملأت كهوف من أمثال كهف ألتاميرا الإسباني (جداريات ثيران البيسون الشهيرة) من فنون النياندرتال من جهة، وحضور الحلي والتمائم لدى الإنسان الحديث بشكل أكثر اتقاناً وتعبيراً جعل كعب الإنسان الحديث (العاقل) اعلى من انتاج النياندرتال. وعليه فأننا هنا نستطيع ان نتجاوز فكرة غياب الفن لننتقل إلى فكرة ضعف الإنتاج الفني لدى إنسان النياندرتال مقارنة بالإنسان الحديث، وهو أمر يعد ايجابياً من الناحية التاريخية نظرا لحجم التهميش الذي رافق فن إنسان النياندرتال في العقود المتأخرة من القرن العشرين. إلا أننا في ذات الوقت لا نستطيع ان نصنف انتاج النياندرتال ذو السمات الفنية من الحلي والتمائم ومتعلقات الجسد الصغيرة ونقارن حضورها الفني مع لوحات التصوير كجداريات ثيران البيسون في كهوف ألتميرا او التماثيل كتمثال الرجل الأسد من كهف هولستن ستادل (Hohlenstein Stadel) التي قام بها الإنسان الحديث، فسوف تبقى تلك الاعمال اعلى تصنيفاً من الناحية الفنية الإبداعية خلال هذه الدراسة.

في مواضع كثيرة يتم الخلط بين الابداع الفني كما يعرفه المتخصصون في الفنون والذي يدخل ضمنه سمات الجمال المستمدة من علم الجمال وبين تكنلوجيا الإنتاج فيما يتعلق بإنتاج الحضارات القديمة ومن قبلها الاجناس البشرية التي مارست الإنتاج في كلا الحقلين سواء الإنتاج التكنولوجي أو الانتاج الفني. ولتوضيح هذا المبحث وجدت دراسات كثيرة وسمت جنس النياندرتال البشري بأنه مبدع فنياً وكانت النماذج المقدمة في تلك الدراسات تدور حول الإنتاج التكنولوجي البحت. فجاءت دراسة كوزويك (2017) وزملاءه لتقدم تصوراً حول الإنتاج الفني الإبداعي لإنسان النياندرتال من خلال التقدم الذي أحرزه هذا النوع البشري في صناعة اللاصق باستخدام القطران (Tar) في سبيل تطوير ادواته وخصوصا صناعة مقابض النصال. من خلال هذا النموذج البحثي يتبين أنه من الأهمية بمكان ان يتم تصنيف الإنتاج الغرضي الصريح المدفوع بحاجات الضرورة وبين الإنتاج ذو الطابع الفني الإبداعي والذي يقارب تصوراتنا عن الفن. وعليه لن تكون التكنولوجيا التي توصل لها إنسان

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

النياندرتال موازية تماماً للإنتاج الفني الإبداعي كما ظهر مثلاً في جداريات ثيران البيسون في كهوف ألتميرا.

ومن جانب آخر وحتى يتم تأسيس هذه الدراسة بشكل رصين لا بد أن نشير إلى أهمية الأدلة التي أشارت إلى تقدم الإنسان الحديث في إنتاجه للفن على إنسان النياندرتال في ذات الفترة التي عاصر فيها أحدهما الآخر. فما دامت هناك أدلة على تجاوز الإنسان الحديث (العاقل) على إنسان النياندرتال فان ذلك يعتبر منطلقاً رصيناً لطرح هذه الدراسة، وبالمقابل إذا لم توفير تلك الأدلة فسوف يصبح تأسيس هذه الدراسة مؤدلَجًا نوعًا ما ويتسم بالضعف. في كتابه (حضارات ما قبل التاريخ) ترك الدكتور خزعل الماجدي مربعاً فارغاً في جدول تقسيم الحضارات البشرية مقابل إنسان النياندرتال في العمود الخاص بالفنون، وكان المربع الوحيد الفارغ في مجمل الجدول الذي سطر حياة البشرية لأكثر من مليونين عام. كما ذلك الجدول، فقد ظهرت فنون للإنسان الماهر، وإنسان الهومو الذين سبقا النياندرتال، وقد تم تبرير سبب غياب تصور لفنون النياندرتال هو أن هذا الموضوع لم يحسم بعد لدى علماء الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا. ولكن بالاطلاع على مجموعة من الوثائقيات الموثوقة والكتب التي تحدثت عن النياندرتال ظهر أن التساؤل حول ضعف الابداع الفني لدى هذا النوع البشري أصبح جلياً للباحثين والدارسين (المعمري، 2023).

في كتابة تفسير الابداع البشري، ذكر المعمري (2023) رأياً يرى بأن الأنثروبولوجيون حاولوا تبرير ضعف الإبداع الفني والتقني لدى إنسان النياندرتال بسبب المناخ الجليدي الذي سيطر على المناطق التي عاشوا فيها في أوروبا في الفترات التاريخية التي حددها العلماء. فكما تشير المصادر فإنه في فترة النياندرتال كان نهر الدانوب الذي نعرفه اليوم ويقطع أوروبا من شرقها إلى غربها عبارة عن مسطح جليدي ينتقل خلاله النياندرتال بالمزالج، مما يشير إلى قسوة المناخ وتطرفه. كذلك فأن الأدلة المتاحة اليوم حول النياندرتال انهم شعب بدوي رحال مما يؤكد ضعف عملية الاستقرار وبالتالي تقل سمة الاحتفاظ بالأدوات، وهو امر يدفع غالباً للتقليل من الإنتاج. بالإضافة إلى ذلك فقد كان ما يبذله الإنسان العاقل من جهد في أفريقيا اقل بكثير مما بذلة النياندرتال في أوروبا الجليدية لجمع الطعام والصيد وغيرها. أن هذه الظروف في الحقيقة هي التي قادت هذا الإنسان إلى استئناس النار بعد أن كان أجدادهم (النياندرتال الأوائل) يلتقطونها من الطبيعة معتمدين على حظهم من البرق. لقد قام النياندرتال باستخدام حجر الصوان والبايرايت لإشعال النار، وأصبح المتحكم بها بعد أن كان متسولاً لها من البرق، وكما قال الأنثروبولوجيون: أن الإنسان بعد اكتشاف النار ليس كالإنسان بعدها. لذلك من حين إلى آخر تتصادم لدينا القناعات حول هذا المجتمع الغامض، هل كان مجتمعاً معرفياً متطوراً مرناً أم انه متوحش راكد (المعمري، 2023). أن هذه المبررات قد تكون منطقية إلا أنها

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

غير كافية، ولذلك حاولت هذه الورقة البحثية التعمق أكثر في طرح مبررات لظهور سمات الضعف على انتاج الفن في مرحلة النياندرتال، لتتاح لاحقاً للبحث والتمحيص من قبل الباحثين.

منهج الدراسة:

نظرا لطبيعة البحث وأهدافه من ناحية، ومحاولة سبر شأن يتسم بالقدم والغموض، فقد ذهب الباحثان إلى استخدام المنهج النظري والذي يبحث غالباً في النظريات والفرضيات معتمدًا على المحتوى المنشور سابقاً في ذات الموضوع. إن المنهج النظري هو أحد أهم أنواع مناهج البحث العلمي وأكثرها استخداماً وخصوصاً في الدراسات الإنسانية ومنها الفنون وتاريخها. حيث يقوم الباحثان من خلال هذا المنهج بدراسة نظرية ما قد طرحت لفك طلاسم موضوع مختلف بشأنه، ويتأكدان عبرها من صحة تلك النظريات أو الدراسات أو الأبحاث العلمية المنشورة سابقا في منصات علمية محكمة. ونظرا لتنوع اشكال المنهج النظري في الدراسات الإنسانية، فقد اختار الباحثان (الدراسة الارتباطية) والتي من خلالها يسعى الباحث العلمي لأن يجد العلاقة التي تجمع العديد من المتغيرات المرتبطة بظواهر مختلفة، وأن يتعرف على مدى ارتباط هذه المتغيرات المؤثرة على ظاهرة أو إشكالية البحث العلمي الذي يقوم بدراسته. وعليه فان هذه الدراسة لا بد ان تحتوي على بحث متعمق للعلاقات والمقارنات بحيث يسعى الباحث العلمي هنا لأن يكشف عن جميع الظروف والاسباب المحيطة بظاهرة أو إشكالية البحث العلمي، وذلك من خلال إجراء المقارنات بين الظواهر البحثية المختلفة، وفي هذا الشكل من أشكال المنهج النظري لا تدرس الظواهر بشكل عام، وإنما يجري البحث عن أسباب هذه الظواهر وكيف نشأت، لتجري بعد ذلك المقارنات بين الظواهر واكتشاف أوجه التشابه أو الاختلاف فيما بينها، وهذا ما يجعل الباحث العلمي يصل إلى العوامل الرئيسية المسببة لظهور وقائع البحث.

أسئلة الدراسة:

1. كيف يمكن تبرير ضعف انتاج الفنون في فترات إنسان النياندرتال وفقاً لمعطيات الفن والانثروبولوجيا؟
2. إلى أي مدى يمكن الاعتداد بنتاج الحرف الصغيرة واعتبارها أرثاً فنيا ينتمي إلى مرحلة إنسان النياندرتال؟

اهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. وضع تصورات نظرية لأسباب ضعف فنون إنسان النياندرتال وذلك لتحقيق تصور عن طبيعة حياة هذا النوع البشري في الحقب الزمنية التي عاش خلالها.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

2. فهم طبيعة الحياة في مرحلة إنسان النياندرتال ومدى أهمية الفن في مجريات تاريخه، وعليه يمكن تصور أسباب تجاهل الفن لدى هذا النوع مقارنة بالإنسان العاقل.

3. سد فجوه معرفية وتاريخية اختلف عليها الباحثون في دراسات تاريخ الفن، فلا زال الباحثون يعملون بشكل مستقل دون ان تتاح فرصة جمع المبررات في دراسة واحدة.

فرضيات تبرير ضعف الإنتاج الفني لإنسان النياندرتال:

للبدء في وضع تصور لهذا الجزء من البحث لا بد من طرح تساؤل تأسيسي وهو: لماذا اتسم الإنتاج الفني بالضعف لهذا النوع البشري في فترة وجوده والتي استمرت قرابة 250000 عامًا تقريباً؟ ولماذا كان الوحيد من سلسلة البشر ممن لم ينتجوا فناً حقيقياً، علماً بأن من سبقوه وكذلك من لحقوه أنتجوا الفن وأبدعوا فيه بشكل يفوق مرحلة النياندرتال؟ ولماذا كانت أدواته أكثر بدائية مقارنة مع أدوات من سبقه تاريخياً؟ فمن خلال الإجابة على هذه الأسئلة سوف يتسنى لنا الوقوف على الفجوة الإبداعية في التاريخ البشري لإنسان النياندرتال؟ لذلك تأتي الفرضيات التالية كأكثر الفرضيات التي تبرر ضعف الإنتاج الفني لإنسان النياندرتال كما راجعها الباحثان:

1- غياب المنظومة الثقافية المشجعة للحواس الفنية:

لقد تشكلت المنظومة الثقافية لحياة إنسان النياندرتال من خلال آثار توجهاته وعاداته اليومية. فقد جاءت مجموعة كبيرة من الدراسات لتثبت بان اكل اللحوم مثلاً كان الخيار الرئيسي وفي احياناً كثيرة الأوحد لهذا النوع البشري المنقرض. جاءت دراسة مارلين باتو-ماثيس (2000) لتثبت من خلالها تفضيل النياندرتال لوجبات لحوم الغزلان البرية وثيران البيسون والخيول ووحيد القرن الصوفي (woolly rhinoceros)، وان عادات اكل اللحوم مستقلة عن النباتات كانت قد وضعت أثرا على الطبيعة الثقافية والاجتماعية من جهة، ودافعية الدموية والتوحش لهذا النوع البشري من جهة أخرى.

ولكن لا بد من وجود فحوصات مخبرية تؤكد على هذا الزعم، وعليه ففي عام 2009 قدم كل من ميشيل ريتشارد وأيريك ترنكوس دراسة مخبرية اعتمدت على فحوص باستخدام دراسات النظائر (isotope studies) ليثبت الباحثان من خلال تلك الدراسة بأن معظم البروتين الذي اعتمد عليه النياندرتال يعود إلى أصل حيواني صرف. كما زعمت بعض الدراسات، كلما ارتفع معدل أكل اللحوم، قلت في المقابل الحساسية تجاه الفنون والابداع البصري كثيراً. لقد ذهبت بعض الدراسات إلى تأكيد ارتباط استهلاك اللحوم بسمات شخصية تحُدُّ مِن الانفتاح والتقدير الوجداني، وفي المقابل كان النباتيون أكثر انفتاحاً وتوجها نحو التقدير الوجداني للمشاهدات من حولهم (كيلر وآخرون، 2015).

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

لقد ذَهَبَت الكثير من النظريات إلى أن إنسان النياندرتال كان يعيش ضمن منظومة ثقافية لا تشجع على الإبداع، ولذلك كثيراً ما ذهب هؤلاء المنظرون إلى وصف هذا النوع من الجنس البشري بالجنس المتوحش الذي لا يتقن إلا قتل الماموث او قتل بعضهم بعضاً. كما أن الأسئلة بدأت تكثر حول عملية التطور سواء التقني او الاجتماعي لدى هذا النوع من البشر، فإذا ما وجدنا على سبيل المثال أن النياندرتال قد طبعوا راحات اليدين على أسقف الكهوف واستمروا في ذلك من 64,000 عام قبل الميلاد حتى انقراضهم في 35,000 عام قبل الميلاد دون تطور او تغير للأفضل فأنك حتماً ستضع جانب الإبداع لدى النياندرتال على المحك.

2- تحدي المناخ الجليدي لمناطق تواجد النياندرتال:

كثيرا ما حاول الأنثروبولوجيون تبرير غياب الإبداع الفني والتقني لدى إنسان النياندرتال بسبب المناخ الجليدي الذي سيطر على المناطق التي عاشوا فيها. فإنه في فترة النياندرتال كان نهر الدانوب الذي نعرفه اليوم ويقطع أوروبا من شرقها إلى غربها عبارة عن مسطح جليدي ينتقل خلاله النياندرتال بالمزالج، فلك أن تتصور إلى أي مدى كان المناخ قاسياً. كذلك ما كان يبذله الإنسان العاقل من جهد في أفريقيا اقل بكثير مما بذلة النياندرتال في أوروبا الجليدية لجمع الطعام والصيد وغيرها.

أما العذر الآخر فهو غياب الدافع للإبداع نتيجة الظروف البيئية والمناخية القاسية التي عاشها إنسان النياندرتال والذي أدى إلى انشغاله بالأساسيات اليومية الاعتيادية (الصيد والدفاع عن العشيرة الصغيرة وغيرها). والباحثان شخصيًا يرفضان هذا التخمين، فالأصل أن الإبداع يتولد من الحاجات الملحة. وأن قيام الإنسان بإنتاج حلول إبداعية يأتي لتحويل الظروف القاسية إلى سهلة. أن معرفتنا بمفهوم الإبداع يجعلنا ننفي بشدة هذا التخمين، فثورة الإبداع لا تولد إلا من رحم الحاجة، ولم يكن البشر في كل تاريخهم القديم والحديث مبدعين إلا لأنهم حاولوا ملء الفراغات التي أجبرتهم البيئة وقسوتها على مواجهتها.

3- حياة الارتحال لإنسان النياندرتال:

كذلك فإن الأدلة المتاحة اليوم حول النياندرتال هي أنهم شعب بدوي رحال مما يؤكد ضعف عملية الاستقرار وبالتالي تقل سمة الاحتفاظ بالأدوات، وهو أمر يدفع غالباً للتقليل من الإنتاج. إن هذه الظروف في الحقيقة هي التي قادت هذا الإنسان إلى استئناس النار بعد أن كان أجدادهم (النياندرتال الأوائل) يلتقطونها من الطبيعة معتمدين على حظهم من البرق. لقد قام النياندرتال باستخدام حجر الصوان والبايرايت لإشعال النار، وأصبح المتحكم بها بعد أن كان متسولاً لها من البرق، وكما قال

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

الأنثروبولوجيون: إن الإنسان بعد اكتشاف النار ليس كالإنسان بعدها. لذلك من حين إلى آخر تتصادم لدينا القناعات حول هذا المجتمع الغامض، هل كان مجتمعاً معرفياً متطوراً مرناً أم انه متوحش راكد.

4- التكوين التشريحي والبيولوجي لدماغ النياندرتال:

أما التبرير الخاص بعزو ضعف الإنتاج الفني الى التكوين البيولوجي لقدرات النياندرتال عند مقارنتها بالإنسان العاقل القادم من أفريقيا فهو أحد اهم ما ذكر في الدراسات المتخصصة. فبالرغم من أن قصر قامة النياندرتال وقدرته البدنية العضلية وكبر دماغه إلا أن هناك وجهة نظر لدى علماء الأنثروبولوجيا التطورية (علم الإناسة التطوري) بأن التكوين التشريحي لدماغه يخبرنا بأنه كان اقل حظوة من الإنسان الحديث فيما يخص الذكاء وإتقان اللغة، وهما امران كفيلان بجعلة هامشياً بالنسبة إلى الإبداع. ففي عام 2013 قدم أيلوند بيرس من جامعة أكسفورد وجهة نظر تقول بان كبر حجم عيني النياندرتال اسهمتا في توجيه قدرة دماغه لمهارة الرؤية الليلية، مما تسبب في اخذ حصة أكبر من قدراته الذهنية والتي من المفترض توجيهها للإنتاج والإبداع لتصبح مستنزفة لصالح الأبصار (بيبو، 2018). وإذا ما تحدثنا عن مرونة الدماغ البشري، فقد ثبت أن الأدمغة ذات طبيعة مرنة تتبادل نسب قدراتها حسب حاجاتها، وعليه حري بنا أن نضع تكهن بيرس تحت الدراسة والتفحص مستقبلاً. ولكن أكثر ما يثير فيما يخص أدمغة النياندرتال هو بطء نموها بالمقارنة بأدمغة البشر المعاصرين (ماهوني وآخرون، 2021). ولكن ترى معظم النظريات أن فترة حياة النياندرتال كانت قصيرة للغاية مقارنة بالإنسان الحديث (بيبو، 2018)، مما قد يخلق تساؤلاً حول قدراته الذهنية، فربما وهو في سن الثلاثين كان دماغه كما لوكان دماغ إنسان عشريني من أدمغة البشر المعاصرين الأسرع نموًا (ماهوني وآخرون، 2021). كذلك فإنه حتى وإن كان دماغ النياندرتال كبيراً بمقارنته بدماغ المعاصرين منا، فهو يملك مخيخاً أصغر، وبالتالي نستطيع نحن البشر المعاصرون من أحفاد الإنسان العاقل بسهولة تجاوز قدراته المعرفية كالتركيز والحفظ واللغة. ولكن ما هو التعويض الذي حصل عليه في مقابل صغر مخيخه؟ انه كبر حجم الفص القذالي المسؤول عن الرؤية والأبصار، وهو حتماً مهم في حياته الليلية وواجباته في الصيد لكنه حتماً لن يخدمه هذا الفص فيما يخص الإبداع مهما كبر (ماهوني وآخرون، 2021). وفي النهاية، لو ثبت أن الفروق البيولوجية التي ذكرناها أعلاه، هي التي جعلت من النياندرتال متأخراً إبداعيا لأصبح بالنسبة لنا من التبريرات الأكثر قبولاً من ضمن الأعذار التي ذُكِرَت سلفًا.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

5- ضعف اللغة وأدوات التواصل:

كذلك وضع بعض الأنثروبولوجيون نظرية "ضعف اللغة والتواصل" لدى إنسان النياندرتال كمبرر هي الأخرى لغياب الإبداع لديهم، وفي الحقيقة فأن موضوع لغة النياندرتال وضعفها قد يكون مبرراً منطقياً، فاللغة أحد اهم أسس التواصل، والتواصل أحد اهم أسس الإبداع (المعمري، 2023). ولكن هنا لا بد أن أعود إلى المتخصصين الذين سبروا هذا الجانب الخفي من حياة النياندرتال، خصوصاً وأن السجل الأحفوري الذي استطاع أن يحفظ الحجر والعاج والعظام، لن يكون بمقدوره حتمًا أن يحفظ لنا الحبال الصوتية او أنصاف الدماغ الطرية لنستكشف قدرة النياندرتال اللغوية (بيبو، 2018).

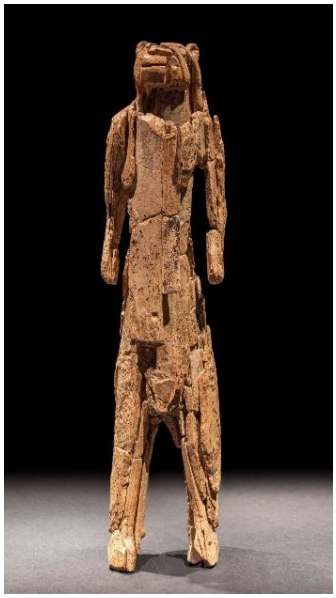

تمثال (الأسد الإنسان) والذي عثر عليه في كهف هولنشتاين ستادل عام 1939

إن الجسد البشري به استعدادٌ خاصٌ للحديث، فاللغة لدى جميع الأجناس البشرية تحتاج إلى حجاب حاجز اعلى تطوراً من جميع أنواع الرئيسيات ومنها الشمبانزي. وللبشر بأنواعهم حتى النياندرتال حجاب حاجز مزود بمجسات عصبية متطورة جداً جعلتهم كما يتنفسون الهواء ينطقون. كما انهم بدون استثناء لديهم جين اللغة المسمى (FOXP2) والذي مكن البشر بجميع فئاتهم من التواصل اللغوي (بيبو، 2018). إلا أنه وبرغم كبر حجم دماغ النياندرتال مقارنة بالإنسان فإن المخيخ لديه أصغر حجمًا وبالتالي كان التفوق اللغوي حليفًا للإنسان المعاصر (هومو سابينس) على منافسه النياندرتال. لقد كان المخيخ الذي حظي به الإنسان الحديث أداة ساعدته على زيادة قدرة الذاكرة لديه ومرونة اكتساب المعرفة، وهي أدوات اللغة الحقيقية الفاعلة (بيبو، 2018). وإذا كانت الأبحاث التي ذهبت

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

إلى هذا التكهن صحيحة ونهائية، فإنه بوسعنا الاعتقاد بسر التفوق الذي تسبب في سيطرة الإنسان العاقل على النياندرتال، وكذلك سر غياب الإبداع من حياة النياندرتال.

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف، ولكي نقّيم الإبداع الإنساني في مرحلة النياندرتال نحن بحاجة إلى أن نلخص موقفنا. وبعبارة أخرى إما أن نسم هذا النوع البشري بالتقصير والكسل، أو أن نوفر له بعض الأعذار المقنعة. فماذا لو كان هناك خطأ تاريخي في تحديد مرحلة انقراض النياندرتال وأصبحت نتيجة ذلك الخطأ أن نُسِبَت أعمال الكهوف الإبداعية إلى الإنسان الحديث (العاقل) وهي في الأصل من إنتاج النياندرتال (تحدثنا عن الفترة الزمنية الحرجة التي اختلفت فيها المراجع حول المرحلة الدقيقة لانقراض النياندرتال وقلنا إنها لا تقل عن 5000 سنة ولا تزيد عن 10000 سنة). وفي هذا المنحى علينا أن ننتظر أكثر حتى يتفق المتخصصون من الأنثروبولوجيين والأركيولوجيين على (نموذج إرشادي) غير قابل للتأويل او التأرجح لتحديد التوقيت الزمني لانقراض النياندرتال.

المـــــراجع

1. MORO ABADÍA, O. S. C. A. R., & GONZÁLEZ MORALES, M. A. N. U. E. L. R. (2010). Redefining neanderthals and art: An alternative interpretation of the multiple species model for the origin of behavioural modernity. *Oxford Journal of Archaeology*, *29*(3), 229–243. https://doi.org/10.1111/j.1468-0092.2010.00346.x
2. D'Errico, F. (2003). The Invisible Frontier. A multiple species model for the origin of behavioral modernity. *Evolutionary Anthropology: Issues, News, and Reviews*, *12*(4), 188–202. https://doi.org/10.1002/evan.10113
3. Zilhão, J. (2007). The emergence of ornaments and art: An archaeological perspective on the origins of "Behavioral modernity." *Journal of Archaeological Research*, *15*(1), 1–54. https://doi.org/10.1007/s10814-006-9008-1
4. Chase, P. G., & Dibble, H. L. (1987). Middle paleolithic symbolism: A review of current evidence and interpretations. *Journal of Anthropological Archaeology*, *6*(3), 263–296. https://doi.org/10.1016/0278-4165(87)90003-1
5. Paabo, S. (2016). *Neanderthal man: In Search of Lost genomes*. Audible Studios on Brilliance.
6. Mellars, P. (2005). The impossible coincidence. A single-species model for the origins of modern human behavior in Europe. *Evolutionary Anthropology: Issues, News, and Reviews*, *14*(1), 12–27. https://doi.org/10.1002/evan.20037
7. المعمري. بدر (2023)، تفسير الابداع البشري، دار نثر، مسقط، سلطنة عمان.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.92.2023.847
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (92) June 2023
العدد (92) يونيو 2023

8. Kozowyk, P. R., Soressi, M., Pomstra, D., & Langejans, G. H. (2017). Experimental methods for the Palaeolithic dry distillation of birch bark: Implications for the origin and development of Neandertal adhesive technology. *Scientific Reports*, *7*(1). https://doi.org/10.1038/s41598-017-08106-7.
9. Patou-Mathis, M. (2000). Neanderthal subsistence behaviours in Europe. *International Journal of Osteoarchaeology*, *10*(5), 379–395. https://doi.org/10.1002/1099-1212(200009/10)10:5<379::aid-oa558>3.0.co;2-4
10. Keller, C., & Siegrist, M. (2015). Does personality influence eating styles and food choices? direct and indirect effects. *Appetite*, *84*, 128–138. https://doi.org/10.1016/j.appet.2014.10.003
11. Mahoney, P., McFarlane, G., Smith, B. H., Miszkiewicz, J. J., Cerrito, P., Liversidge, H., Mancini, L., Dreossi, D., Veneziano, A., Bernardini, F., Cristiani, E., Behie, A., Coppa, A., Bondioli, L., Frayer, D. W., Radovčić, D., & Nava, A. (2021). Growth of neanderthal infants from Krapina (120–130 ka), Croatia. *Proceedings of the Royal Society B: Biological Sciences*, *288*(1963). https://doi.org/10.1098/rspb.2021.2079
12. سفانته. بيبو (2018)، إنسان النياندرتال : البحث عن الجينومات المفقودة، دار عرب، لندن، المملكة المتحدة.
13. Richards, M. P., & Trinkaus, E. (2009). Isotopic evidence for the diets of European Neanderthals and early modern humans. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, *106*(38), 16034–16039. https://doi.org/10.1073/pnas.0903821106